استراتيجيات الخطاب الحجاجي في الزيارة المروية عن الإمام الهادي A لجده الإمام أمير المؤمنين A يوم الغدير (مقاربة تداولية)

الدكتورة سمية حسنعليان
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان، إيران
s.hasanalian@fgn.ui.ac.ir

Strategies of argumentative discourse in the visit narrated by Imam al-Hadi (peace be upon him) to his grandfather Imam Amir al-Mu'minin (peace be upon him) on the day of Ghadir (a pragmatic approach)

Dr. Somaya Hassanalyan
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Isfahan , Iran

الملخص:-

يتناول هذا البحث دراسة إستراتيجيات الخطاب الحجاجي في زيارة الإمام الهادي A لجده أمير المؤمنين A يوم الغدير وقد أشرت في ثنايا البحث إلى الآليات البلاغية الحجاجية؛ ووضحت الأسس المقامية لنص الزيارة وربطها بالأبعاد الحجاجية، مبينة عوامل الحجاج التي تساهم في تحقيق غرض الإقناع، مستخدمة المنهج الوصفي ـ التحليلي والمنهج التداولي الذي يدور في أغلبه حول مفاهيم القصد التواصلي ومقام التواصل.

ومن أهم ما تم التوصل إليه من خلال هذه الدراسة هو أن كل الأبعاد الحجاجية في الزيارة الغديرية بأنواعها المختلفة كالعوامل والأسس والآليات البلاغية تخدم النتيجة الواحدة وهي أن الولاية والإمرة تليق بمقام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب A وصي الرسول o، الذي فيه كل الصفات والميزات التي تندرج تحت المبادئ الحجاجية ويتفق عليها كل أفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الإمام أمير المؤمنين A الإمام الهادي A، الزيارة الغديرية، التداولية، الحجاج، الإستراتيجية.

Abstract:-

This research deals with studying the strategies of argumentative discourse in the visit of Imam al-Hadi (peace be upon him) to his grandfather, the Commander of the Faithful (peace be upon him) on the day of Ghadir. I have pointed out in the folds of the research the rhetorical argumentative mechanisms; and I have clarified the situational foundations of the visitation text and linked them to the argumentative dimensions, indicating the argumentative factors that contribute to achieving the purpose of persuasion, using the descriptive-analytical method and the interactive method that mostly revolves around the concepts of communicative intent and the position of communication.

One of the most important things that have been reached through this study is that all the argumentative dimensions in the Ghadir visitation in its various types, such as the factors, foundations and rhetorical mechanisms, serve the same result, which is that the guardianship and command befit the position of Imam Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib (peace be upon him), the successor of the Messenger, may God bless him and his family, who has all the qualities and characteristics that fall under the argumentative principles and are agreed upon by all members of society.

Key words: Imam Amir al-Mu'minin (peace be upon him) , Imam al-Hadi (peace be upon him), the Ghadir visit, deliberation, pilgrims, strategy.

١. المقدمة:

من أهم الركائز والأصول التي تهتم بها التداولية هو الحجاج الذي يحاول المتكلم من خلاله تحقيق أهدافه وإيصال أفكاره إلى المتلقي؛ ولذلك لا ينحصر هذا الأسلوب في الخطاب الأدبي، بل يتجاوزه إلى الحياة اليومية؛ لأن هدفه الرئيس هو استمالة المخاطب واستهوائه؛ ولكن عندما نتحدث عن جمال هذه التقنية أو الأسلوب فلا بد من دراستها في النص الأدبي والخطاب الأدبي لأنه يُعَدُّ «الممارسة الأدبية شفوية أو كتابية للغة ممارسة تتقيد بقواعد وشروط فنية مختلفة باختلاف الأنواع والفنون الأدبية وتتقيد أيضا بقيم جمالية يتعارض عليها كل أمة تبعا لحضارتها وثقافتها ويكون تحليل الخطاب تبعا لذلك هو استخلاص هذه الشروط الفنية أو المكونات الأدبية في خطاب ما عبر مستويات متعددة تتدرج كلها ضمن وجهي الأثر الأدبي هما الشكل والمضمون» (صحراوي، ٢٠١٣م، ٢١٩).

ومن جهة أخرى فإن النصوص التراثية ما تزال محل اهتمام الباحثين والدراسين ومن هذه النصوص التي تدخل في حقل النصوص العقدية هي نصوص الزيارات التي وصلت إلينا، وانسياقا مع هذا تم اختيار نص الزيارة الغديرية للإمام الهادي A لدراستها من زاوية جديدة تعني بالحجاج الذي يُعَدُّ من أسس وركائز النصوص المتضمنة للمقصدية.

أسئلة البحث:

أهم الأسئلة التي يهدف البحث الإجابة عنها هي:

- ما أهم آليات الحجاج اللغوية التي وردت في زيارة أمير المؤمنين A يوم الغدير ؟
- ما هدف الإمام الهادي A جراء توظيف هذه التقنيات في الزيارة الغديرية لجده أمير المؤمنين A ؟

منهج البحث:

والمنهج التي توخاه البحث للإجابة عن أسئلة البحث هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يفتح أمامنا آفاقاً رحبة من شأنها أن ترشدنا إلى إجابات شافية لأسئلة البحث وإماطة اللثام عن الآليات الحجاجية اللغوية التي وردت في زيارة الإمام الهادي A لجده أمير المؤمنين A يوم الغدير من جهة ومعرفة كيفية عمل هذه التقنيات داخل الخطاب (الزيارة) من جهة أخرى، إذ يتركب المنهج المطروح من المنهج الوصفي الموافق لأحد أنماطه تحليل المحتوى؛ ويعرّف المنهج الوصفي على أنه «دراسة الحالة الراهنة للظاهرة من حيث خصائصها وأشكالها وعلاقاتها والعوامل المؤثرة» (العسولي ومليح، ٢٠٢٠م، ٣٦)؛ وجلّ مزايا هذا المنهج أنه يحد من تدخل الباحث، وبالتالي تظهر النتائج موضوعية؛ لأنها مشتقة بطريقة دقيقة... ويسهّل مقارنات طبيعة الظاهرة في أكثر من مكان (خالد، ٢٠٢٣م، ٣٢٧)؛ أما نمط تحليل المحتوى فهو أحد أساليب المنهج الوصفي، وهو أسلوب يقوم على وصف منظم ودقيق لنصوص مكتوبه ومسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها وتعريف مجتمع الدراسة الذي سيتم اختيار الحالات الخاصة منه لدراسة مضمونها وتحليلها (المحمودي، ٢٠١٩م، ٦٠).

واستفاد البحث الحاضر للإجابة عن الأسئلة من المنهج التداولي الذي يراعي في نقده للنصوص ودراستها وتحليلها أشياء مختلفة تلعب دورا كبيرا في إبراز جماليات النص، منها المقاصد إذ تعدُّ جوهر العملية التواصلية لأنها هي التي تسعى لبلورة المعنى المطلوب في ذهن المتلقي، إذ يمكن لنا أن نعرفها على أنها «ذات تكوين بيولوجي ولها أطر معينة في ذهن المرسل

يسعي من خلالها إلى تحقيق الفهم والإفهام عن طريق الاستعانة باللغة في مختلف مستوياتها المعروفة، ذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدوال والمدلولات وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالاتها وعلي الإجمال معرفته بالمواضعات التي ينتظم إنتاج الخطاب بها» (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ١٨٣)؛ وللحجاج دور كبير وهام في تحقق هذه القصدية.

الدراسات السابقة:

أما بالنسبة للدراسات السبقة فبإمكاننا توزيع هذه الدراسات والبحوث على عدة محاور؛ كما يأتي:

- **الدراسات عن الزيارة الغديرية**: وهذه نماذج منها:

- شرح فرازهايي از زيارت غديريه [شرح مقاطع من الزيارة الغديرية]، سيد جواد حسيني، مجله مبلغان، ١٣٩٨.ش؛

١. زيارة يوم الغدير دراسة دلالية (زيارة أمير المؤمنين A برواية علي بن محمد الهادي A أنموذجا، لمرتضى عبد النبي علي الشاوي، مجلة الموسم، المجلد ١١٠، السنة ٢٨؛ الانسكلوبيديا العلوية ١: ٧١٤ - ٧٣١، ٢٠١٥م؛

٢. درس‌هاي امامت از زيارت غديريه [دروس الإمامة من الزيارة الغديرية]، عبدالحسين طالعي، صحيفه أهل بيت العدد ٣،.١٣٩٥ش؛

٣. تحليل الإستشهادات القرآنية في (الزيارة الغديرية)؛ على ضوء المنهج الأدبي؛ لزهراء بابا أحمدي ميلاني، مجلة آداب الكوفة، العدد ٥٤، المجلد ١، ٢٠٢٢م، صص ٦٦٦ ـ ٦٩٠؛

٤. زيارت غديريه از منظر روش تفسير مصداق يابي [الزيارة الغديرية من منظور أسلوب التفسير المصداقي]، ميثم خليلي سيد فاطمه حسيني، مجلة حديث و انديشه العدد ٢٤، ١٣٩٦.ش؛

٥. اثبات ولايت امام علي A در زيارت غديريه [إثبات ولاية الإمام علي A في الزيارة الغديرية]، مريم پور حسيني، ميراث طه العدد ٥، ١٣٩٤ش.

- **الدراسات عن الخطاب الحجاجي**: هذه الدراسات كثيرة تكاد لا تعد ولا تحصي وتشمل الجانبين النظري والتطبيقي، ولا تخلو الإشارة إلى بعضها من لطف علي سبيل المثال ولا الحصر:

١. المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد تركي، دار المغرب الإسلامي.

٢. إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م.

٣. التداولية والحجاج مداخل ونصوص، لصابر حباشة، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م.

٤. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، لحمادي صمود، تونس: جامعة الآداب والفنون، د. ت.

٥. اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي، د.م: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م.

٦. هذه نماذج من دراسات نظرية وهناك كثير من الدراسات التي تم تطبيق نظرية الحجاج عليها من نصوص شعرية ونثرية في موضوعات مختلفة، لا يسعها هذا المختصر.

- **الدراسات عن الإمام الهادي** A: هذه الدراسات كثيرة ولا يمكن حصرها في هذا المختصر إذ أن هناك كثير من البحوث والدراسات التي اهتمت بالإمام علي بن محمد الهادي A ودرست حياته من جوانب مختلفة سياسية ودينية وعلمية وإمامته المبكرة وشجاعته ومناظراته ومكاتيبه وسيرته الفكرية وغيرها.

مصطلحات البحث:

من أهم المصطلحات التي لا بد من ذكر بعض التوضيحات المختصرة عنها هي:

- **التداولية:**

يعود هذا المصطلح «التداولية» (pragmatique) في الدراسات الغربية إلى المفردة اللاتينية (Pragmaticus) ويعني العمل أو الفعل (أبو زيد، ٢٠٠٩م، ١٨)؛ وتهتم التداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، إذ تراعي كل ما يحيط بها كالمتكلم والمخاطب ومكان وزمان التخاطب والحاضرين أثناء الخطاب وعلاقة المتكلم بالمخاطب والمستوي الثقافي لهما كي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب ولذلك تسمي بقاعدة اللسانيات فهي قادرة على حل الكثير من القضايا اللغوية التي عجزت عن حلها المناهج السابقة (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٢٣).

وقد اختلف الباحثون في تعريفها فهناك من ركز على الخطاب وعدها مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية التي تعني باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية (بلانشيه، ٢٠٠٧م، ١٨).

- **الحجاج:**

تدور لفظة الحجاج في اللغة حول ثلاث دلالات، هي:

- القصد.
- النزاع.
- الدليل.

قال ابن منظور في لسان العرب: «حاججته أحاجه حجاجاً ومحاجة حتي حججته أي

غلبته بالحجج التي أدليت بها... وهو رجل مِحجاج أي جَدِل. والتّحاجُّ: التّخاصم؛ وجمع الحجّة: حجج وحِجاج. وحاجّه مُحاجّة وحِجاجاً: نازعه الحجّة. وحجّه يحُجّه حَجاً: غلبه على حجّته» وجاء فيه: «والمحجة: الطريق؛ وقيل: جادّة الطريق؛ وقيل: محجّة الطريق سننه» وجاء أيضاً: «والتّحاجّ: التخاصم؛ وجمع الحجّة: حجج وحِجاج. وحاجّه مُحاجّة وحِجاجاً: نازعه الحُجّةَ... والحجّةُ: الدليل والبرهان.» (ابن منظور، ١٩٩٧م، ٢: ٢٢٨). أما معناه الفني فيقصد به درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، وأن تزيد درجة ذلك التسليم. (الصولة، ٢٠٠٠م، ١٣)

- **الزيارة:**

الزيارة في اللغة هي مصدر «الزوْر» بمعنى الميل والرغبة إلى طرف والعدول عن غيره، فقد ذكر ابن فارس في كتابه ما نصّه: «الزاء والواو والراء، أصل واحد يدل على الميل والعدول» (ابن فارس، د.ت، زور)، ومن هنا جاءت كلمة «الزائر»، لأنّ من زار أحداً فقد مال إليه وعدل عن غيره، وفي العرف هي قصد المزور إكراما له واستئناسا به ولا يخرج معناها الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

لا شك أن زيارة أهل البيت Δ والتوجه إلى مراقدهم لو دل على شيء ليدل على حب الزائر لهم والولاء الذي يكنه الزائر في قلبه لهم، وكثرة الأحاديث في موضوع الزيارة حجة على أهميتها ومكانتها المرموقة في الإسلام وعلي سبيل المثال لا الحصر يتضمن كتاب بحار الأنوار ٣١٢ رواية في هذا الموضوع.

إن الزيارة تجدد روح الالتزام بأهل البيت Δ لدي الزائر كما تقوي لزوم سلوك نهجهم في الحياة، وذلك لأن أصحاب هذه المزارات الشريفة مثل عليا في الشجاعة واتباع الحق.

- **الإمام علي بن محمد هادي A:**

هو علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن ابي طالب A (اليعقوبي، (١٩٩٩م)، ٢ / ٥٠٣)، فنسبه الشريف ينتهي إلى أكرم بيت ذلك البيت الذي طهَّره الله وشرفه بقوله: [**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**] [الأحزاب ٣٣: ٣٣]، ولد A في قرية صربا بالقرب من المدينة المنورة، يوم الثلاثاء في الثاني من شهر رجب الأصب من سنة اثنتي عشرة ومئتين للهجرة النبوية الشريفة (إبن خلكان، ١٩٧٨ م، ٢٧٣/٣)، ويكنى A بأبي الحسن، ويقال له تمييزاً " أبو الحسن الثالث " بعد أبي الحسن الأول أمير المؤمنين A وأبي الحسن الثاني جده الرضا A، وأما ألقابه فكثيرة منها: الهادي وهو اشهرها، والعسكري، والفقيه، والمؤتمن، والنقي، والعالم، والمرتضى، والناصح، والأمين، والمتقي والطيب، والنجيب، والفتاح، والمتوكل وغيرها (alaskarian.net).

وقد عاش الإمام الهادي A في عصر كانت فيه المناقشات الفقهية والمجادلات الكلامية والمذاهب الفلسفية شاملة وعنيفة، وتسالم العلماء والفقهاء على الرجوع إلى آرائه السديدة في المسائل المعقدة والغامضة من أحكام الشريعة الإسلامية. إذ لم يكن هناك أحد يجاريه في سعة علمه الذي شمل جميع أنواع العلوم من الحديث والفقه والفلسفة وعلم الكلام، وسائر العلوم الأخرى،

وأثرت عن الإمام A روايات عن النبي الأكرم o وعن أمير المؤمنين والباقر والصادق والرضا A.

- **يوم الغدير:**

هو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من عام ١٠ هجرية، وفيه ذكري عيد الغدير الأغر ويسمي بعيد الله الأكبر وعيد الولاية؛ إذ تم فيه أمر تتويج الإمام علي A بإمرة المسلمين وذلك في طريق عودة النبي إلى المدينة المنورة، بعد أن فرغ من مناسك الحج الذي اشتهر بحجة الوداع، عندما وصل النبي الكريم o إلى منطقة غدير خُم في الجُحْفة، التي تمثل مفترق طرق المدينة ومصر والعراق؛ نزل عليه جبرئيل بالآية المباركة: **[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ]** [المائدة ٥: ٦٧]، وأمره بإبلاغ الناس بالنص على ولاية الإمام علي A (الحاكم النيسابوري، ٢٠٠٢ م، رقم الحديث ٤٥٧٦).

فقال النبي o ذلك اليوم: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟ فقلنا بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه» (ابن حنبل، ١٩٩٥م، رقم الحديث ٩١٥)؛ وقد ورد هذا الموضوع الذي اشتهر بحديث الغدير في مصادر شيعية وسنية كثيرة (يُنظر: الحاكم النيسابوري، ٢٠٠٢ م، رقم الحديث ٤٥٧٦؛ ابن أبي الحديد، ١٤٠٤ه، ٢: ٢٨٧؛ ابن منظور، ١٩٨٤م، ٢: ٥٣)

- **الإستراتيجية:**

لفظة إستراتيجية مشتقة من الكلمة اليونانية «Stratégos» التي تعني القائد العسكري والتي تتكون من كلمتين«Stratos et Agein » الأولى تعني الجيش والثانية تعني القيادة.

وإصطلاحا: هناك تعاريف عدة للإستراتيجية إذ يحاول كل واحد من رواد الفكر الإستراتيجي تعريف الإستراتيجية من الزاوية التي رآها منها، ومن ذلك قولهم بأنها: «هي الأفق التصوري أو الكيفية التي تجعل المؤسسة تجيب على التساؤلات التالية: ما هي مؤسستنا ؟ ما هي مهمة المؤسسة ؟ ما الذي يجب أن يكون أهداف للمؤسسة مقارنة بالسوق، الموارد، القدرات الإبداعية، الأرباح، تكوين الأفراد والمسؤولية الإجتماعية؟ وقيل كذلك بأنها: «خطة متجانسة مدمجة أهداف وسياسات المؤسسة، وأيضا على أنها الكل أو هي المجموع المكون من تصورات، قرارات، تصرفات بهدف تحديد الغايات العامة والأهداف، الوسائل التي تسمح بتحقيق هذه الغايات وبتقييمها ومراقبة الأداء الناتج عن هذا التنفيذ» كما تُعرّف بأنها عملية تحديد الأهداف والخطط والسياسات المناسبة للظروف البيئية التي تعمل في ظلها المنظمة، والتي تتضمن عملية تحديد وتقويم البدائل المتوفرة أو هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن وبأقل جهد مبذول (الدوري، ٢٠٠٥م، ٢٤ـ ٣٦ نقلا عن العلماء في هذا المجال).

٢. الزيارة الغديرية للإمام الهادي A؛ الأهمية والمضامين:

لا شك في أهمية الزيارة في الشريعة الإسلامية إذ تُعدّ من الشعائر الإسلامية الهامة؛ وجدير بالذكر أن الزيارة خرجت من كونها مجرد طقس أو عادة وقد تم تأسيس الكثير من الأدلة النقلية الثابتة عن أهل البيت Δ لمفهوم الزيارة وحدودها.

وهناك وجوه أخرى لأهمية الزيارة بشكل عام والزيارة الغديرية التي نحن بصدد دراستها بشكل خاص؛ منها:

- أنها تكون مصدر إلهام روحي ومعرفي.
- لها أثر كبير في أداء الوظيفة الرسالية في المستوي التربوي والثقافي.
- الزيارة عامل هام في تقوية روح التوحيد ونفي عبادة غير الله جلّ وعلا والتوجه إلى الشفعاء.
- هي تعبير عن التزام أخلاقي بتكريم المزور وإعلاء شأنه.
- هي تقدير للتضحيات التي عملها المزور والإشادة بجهوده في إحياء الدين الإسلامي وقيمه.
- التذكير بفضائل المزور والدعوة إليها والتشجيع عليها.
- الزيارة فرصة للزائر للتأمل في الحياة الكريمة ليعيد النظر في تصرفاته وأفكاره.
- نصوص الزيارات تشمل مفاهيم فكرية ومادة ثقافية ذات دلالة عقائدية أو تشريعية.
- في الزيارة سبب قوي في توثيق العلاقة بالله سبحانه من بابين مهمين هما:

الأول: باب التوبة.

الثاني: باب المحبة والمودة للنبي الأكرم o وأهل بيته Δ.

- تنسجم مضامين نصوص الزيارات مع المفاهيم القرآنية والركائز الإسلامية الأصيلة.

وعلى ذلك فلا بد من الاهتمام بسند هذه النصوص لتكون بعيدة عن الوضع والغلو والتخليط.

وغني عن التوضيح أن بيعة الغدير تميزت باهتمام خاص من أهل البيت Δ وشيعتهم في كل الأجيال، كما اهتم أئمة مذهب أهل البيت Δ وعلمائه برواية هذه الواقعة ونشرها والتأليف فيها بصورة مفصلة، لأنها تجسِّد محور العقيدة بالإمامة، وتمثِّل وفاء الأمة لنبيها o في أهل بيته Δ.

ومن الزيارات الشهيرة التي وصلت إلينا وهي من التراث الشيعي الثمين زيارة الإمام الهادي A لجده أمير المؤمنين A يوم الغدير إذ ينتهز الإمام الهادي A فرصة حلول يوم الثامن عشرة من ذي الحجة كفرصة قيمة لطرح حديث الغدير والتذكير به مرة أخرى، سيراً على نهج كل أئمة أهل البيت Δ ممن سبقوه خوفاً من ضياع أو نسيان هذا الأمر الجلل في ظل سعي السلطات الظالمة على مر التاريخ لنفيه أو تأويله بما يخالف الغرض الرئيس من وقوعه.

وتتخلص أهم المضامين التي وردت في الزيارة الغديرية في الأمور الآتية:

- **ذكر واقعة الغدير وإحياء ذكري البيعة للإمام أمير المؤمنين A:**

إذ تتضمن زيارة الإمام الهادي A لجده في يوم الغدير ذكر تلك الواقعة التاريخية بالتفصيل؛ وكيف بايع المسلمون الإمام أمير المؤمنين A كخليفة وإمام لهم، مع بيان لكون بيعة الغدير ضمان لاستمرار خط النبوة وعدم ضياع ثمرات أتعاب النبي o خلال ثلاث وعشرين عاماً في إبلاغ الرسالة الإلهية، وتم ذلك من خلال تعيين من يتولى حمل الأمانة ويديم المسيرة النبوية.

- **التأكيد على ولاية أهل البيت Δ:**

يظهر هذا التأكيد في العبارات التي وردت في الزيارة في وصف أهل البيت Δ والتأكيد على ولايتهم وخلافتهم للمسلمين.

- **تهنئة الإمام أمير المؤمنين A في هذا اليوم المبارك:**

يخاطب الإمام الهادي A جده أمير المؤمنين A بعبارات جميلة مناجياً إياه ومهنئا له بهذا اليوم المبارك واصفا إياه بحجة الله ونعمة الله على الخلق فيقول: «مَوْلايَ أَنْتَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالْمَحَجَّةُ الْوَاضِحَةُ، وَالنِّعْمَةُ السَّابِغَةُ، وَالْبُرْهَانُ الْمُنِيرُ، فَهَنِيئاً لَكَ بِمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ».

- **الإشهاد بتولية الإمام علي A:**

وذلك من خلال الإقرار بالإشهاد من جراء «كلمة الإخلاص بالولاية العامة في إكمال الولاية في يوم الغدير الأغر وقد استعمل الإمام علي الهادي A الصيغة الفعلية الثابتة (أشهد) وقد تجلي هذا الإشهاد المتكرر والإقرار والتسليم في انجذاب روحي في المناجاة من أجل بيان خصوصية أمير المؤمنين A بالعلاقة الروحية بينه وبين الله وهو يستحق الولاية لما يمتلك من المكانة العظيمة» (الشاوي، ٢٠١٥ م، ١: ٧٢١).

- **الإشارة إلى الحوادث التاريخية الهامة في التاريخ الإسلامي:**

مما يلفت الانتباه في هذه الزيارة هو إشارة الإمام الهادي A إلى الحوادث التاريخية الهامة التي يعدُّ كل واحدة منها منعطفا في التاريخ الإسلامي منها: دور أمير المؤمنين A في الغزوات المختلفة في صدر الإسلام مثل أحدٍ وخيبرَ وحُنين و... والإشارة إلى الأوضاع بعد استشهاد النبي الأكرم o، وما جرى في السقيفة، وغصب الزهراء B فدكاً فضلاً عن غصب الخلافة؛ وصولاً إلى حروب أمير المؤمنين في خلافته مع الناكثين والقاسطين والمارقين في الجمل وصفين والنهروان.

- **ذكر فضائل أمير المؤمنين A:**

ولا نبالغ إذا ادعينا أن المحور الأساس لهذه الزيارة هو مبدأ التولي والتبري ومضمونه الأساسي هو بيان فضائل الإمام أمير المؤمنين علي A؛ وتندرج فضائله A تحت ثلاثة أقسام أصيلة هي كما يأتي:

- **الفضائل القرآنية:**

إذ وردت في الزيارة أكثر من ثلاثين آية من الآيات القرآنية التي تشير إلى فضائل الإمام أمير المؤمنين علي A؛ ومنها ما ورد في: سورة التوبة: ١٩؛ سورة النساء ٩٥؛ سورة طه ٨٢، سورة الأنعام ١٥٣؛ سورة المائدة ٥٤ و....

- **الفضائل التي وردت في الحديث النبوي الشريف:**

قد تم ذكر الفضائل التي لها سند روائي في مصادر الحديث الشيعية والسنية، ومنها:

أمير المؤمنين، سيد الوصيين، وارث علم النّبيين، ولي ربّ العالمين، امين‌الله في ارضه، سفيرالله في خلقه، الحجّة البالغة على عباده، دين الله القويم، صراطه المستقيم، النبأ العظيم، اوّل من

آمن بالله، سيد المسلمين، يعسوب المؤمنين، امام المتقين، قائد الغرّ المحجّلين، اوّل من صدّق بما انزل الله على النبي o و....

- **الفضائل التاريخية:**

إذ ذكر الإمام الهادي A في زيارته لجده A الوقائع التاريخية التي شارك فيها الإمام علي A وأبدي شجاعته فيها ومنها مشاركته في الغزوات المختلفة والحروب التي حافظت على الإسلام، ومن ذلك: غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة الأحزاب، غزوة خيبر، غزوة حنين، وحروبه أيام خلافته في الجمل وصفين والنهروان.

٣. الحجاج؛ التعريف والآليات:

تولدت نظرية الحجاج الجديدة بداية بسبب تلك الرؤية التي تبدت للمنظرين في البلاغة الذين أدركوا أن البلاغة تحولت إلى علم تقعيدي؛ فبدأت الإرهاصات الأولى لظهور نظرية الحجاج من خلال الأسلوبية التي أسّس لها بعض تلامذة دو سوسير لكنها لم تحقق طموحات البلاغيين الذين أرادوا نظرية تتعدى جانب العبارة (صمود، ١٩٩٨م، ٣١-٣٣).

ثم ظهرت بعد ذلك الخطابة الجديدة لشاييم بيرلمان وألبركت تيتيكاه، والتي يمكن عدها العتبة الأولى لظهور نظرية في الحجاج، وهي تتباين مع الخطابة؛ لأنها لا تعنى إلا ببعض المظاهر المساعدة من لغة الخطاب، وتعنى بشكل أخص بالأساليب، والطرق المعتمدة في إقناع السامع من وجهة نظر منطقية (المصدر نفسه، ١٣-١٦).

وتقوم نظرية الحجاج اللغوي على رؤية فريدة تتعلق بوظيفة اللغة؛ إذ أن الوظيفة الحجاجية هي الوظيفة الأولى للغة، وتحملها اللغة بصفة ذاتية، وجوهرية، ومؤشر لها في بنية اللغة، وفي بنية الجمل، والأقوال نفسها، وهي موجودة في الظواهر الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية (العزاوي، ٢٠١٠م، ١١) ووفقا لهذه الرؤية: فإن كل الخطابات اللغوية هي خطابات حجاجية.

وقد أعاد باتريك شارودو صياغة هذه الرؤية بشكل أكثر مرونة، ويتناسب وطبيعة اللغة، وقرر أن: «كل قول يمكن أن يكون حجاجيًا من اللحظة التي يندرج فيها ضمن جهاز حجاجي» (شارودو، ٢٠٠٩م، ٥٣) هذه الصياغة تسمح بالنظر إلى الخطابات بشكل منفرد، دون إسقاط الحجاج عليها، وتسمح أيضا بتحليلها وفق مقتضيات التحليل الحجاجي.

وتشتمل اللغة الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية تشتمل على كثير من الروابط والعوامل الحجاجية، إذ أنّ هذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو وأنسكومبر إلى رفض نموذج موريس والدفاع عن فرضية التداولية الحجاجية أي: بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

الروابط الحجاجية تربط بين ملفوظين أو أكثر تم سوقها في الإستراتيجية الحجاجية نفسها ويمثل لهذه الروابط بـ (لكن، بل، حتى، لا سيما و...) والعوامل الحجاجية تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما ويمكن التمثيل لها بـ (ربما، تقريبا،

كاد، قليلا...) (الراضي، ٢٠١٤م، ٧٧٣)

والرابط الحجاجي من قبيل (حروف العطف، الظروف،...) فهو يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية أما في التصور السابق فإنّ الرابط الحجاجي يربط بين قولين أو أكثر، وقد تمّ التخلي عن هذه الصور. فهناك عدة أنماط من الروابط الحجاجية ويمكن التمييز بينها وهي:

١. الروابط المدرجة للحجج (حتي، بل، لكن، مع ذلك، لأن و...) والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي...).

٢. الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتي، بل، كن، لا سيما و..) والروابط التي تدرج حججاً ضعيفة.

٣. روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك و...) وروابط التساوق الحجاجي (حتي، لا سيما)، (المصدر نفسه، ١٩٩).

٤. إستراتيجيات الخطاب الحجاجي في الزيارة الغديرية:

في هذا القسم من البحث سنسلط الضوء على التقنيات المختلفة للحجاج اللغوي وأبعادها المتنوعة في الزيارة الغديرية للإمام الهادي A.

٤. ١. الآليات البلاغية الحجاجية في الزيارة الغديرية:

دراسة هذه الآليات البلاغية تساعدنا في فهم أن نص الزيارة الغديرية يحمل في طياته طابعا حجاجيا خالصا أراد من خلاله المتكلم التأثير في المتلقي ولهذه الآليات وقع فعال وبارز في عقل المتلقي وقلبه مثل:

- **التضاد:**

يعد للتضاد بعد حجاجي ذلك لأن التضاد ليس «مجرد محسنة بلاغية بل هو يدخل في صميم الصورة الشعرية وأكثر من ذلك هو أساس في فلسفة الشعر نفسه» (أبو غالي، ١٩٩٥م، ٢١)؛ كما أن لهذه الظاهرة دلالتها السيميائية ويتجلى تأثير الطباق في أنه «بجمعه بين الأضداد يخلق صورا ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده» (مطلوب، ١٩٩٩م، ٤٤٣).

ونورد هنا نماذج من التضاد في الزيارة الغديرية:

- قوله A: «صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ، غَادِيَةً وَرَائِحَةً، وَعَاكِفَةً وَذَاهِبَةً».

- أو قوله A: «أَنْتَ تَذُودُ بُهَمَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ النَّبِيِّ، ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشِّمَالِ».

إنَّ حجاجية التضاد في هذه النماذج تعود إلى الشمولية والعمومية التي يدل عليها إذ أتي الإمام الهادي A بهذا التضاد ليدل على نزول رحمة الله وصلواته في كل الوقت على الرسول الكريم o وكذلك ليدل على شجاعة أمير المؤمنين A وبسالته في الدفاع عن النبي o إذ كان يذب عنه أمام المشركين المحيطين به.

- **السجع:**

تم توظيف السجع كآلية بلاغية حجاجية في الزيارة الغديرية من أجل التأثير في المتلقي واستمالته وإقناعه، وللسجع دور هام في الإيقاع الموسيقي. ولا بد من التنوية أنه صحيح أن الإمام الهادي A خاطب أمير المؤمنين A في زيارته ولكنه كان أعرف من غيره بأن هذا النص سيبقي طيلة الدهر وتنقله الصدور وأن كل من يقرأه في العصور المختلفة والأزمان المتنوعة سيدرك أحقية أمير المؤمنين A بالولاية والإمرة.

ونورد هنا لنماذج من الأسجاع التي وردت في الزيارة الغديرية:

- قول الإمام الهادي A: «يَوْمَ خَيْبَرَ إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ، وَ قَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».
- أو قوله A: «أَنْتَ الْقَاسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَالْعَادِلُ فِي الرَّعِيَّةِ، وَالْعَالِمُ بِحُدُودِ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ».
- ونظير ذلك قوله A: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ وَأَوَّلَ الْعَابِدِينَ، وَ أَزْهَدَ الزَّاهِدِينَ».

وكيف من هذه النماذج أن الأسجاع وهبت النص مع زيادة رونق في المعنى موسيقيا جميلة وإيقاعا خصبا.

- **الجناس:**

ولا يقل دور الجناس في العمليه الحجاجية عن دور السجع؛ ونورد نماذج منها في الزيارة الغديرية:

- قول الإمام الهادي A « أَنْتَ الْمَخْصُوصُ بِعِلْمِ التَّنْزِيلِ، وحُكْمِ التَّأْوِيلِ».
- وقوله A: « وَلَكَ الْمَوَاقِفُ الْمَشْهُودَة، وَالْمَقَامَاتُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْأَيَّامُ الْمَذْكُورَةُ».
- أو قوله A «أَوَّلَ الْعَابِدِينَ، وَأَزْهَدَ الزَّاهِدِينَ».
- أو قوله A: « يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، يَا أهل بَيْعَةِ الشَّجَرَةِ».

- **الإقتباس من القرآن الكريم:**

تم الاقتباس من الآيات القرآنية في الزيارة الغديرية (٣٩ مرّة) بصورة كاملة أو جزئية وظهر الاقتباس في أنواع مختلفة ونذكر منها بعض الأنواع مع ذكر النماذج لكل نوع:

- **اقتباس آية كاملة أو آيات كاملة عدة:**

وظهر الإقتباس في ٢٧ آية كاملة من آيات القرآن الكريم إذ اقتبسها الإمام الهادي A وضمنها في الزيارة، ومنها هذه الآيات المباركات: سورة النساء: الآيتين ٩٥، ٩٦؛ سورة البقرة: الآية ٢١٨؛ سورة آل عمران: الآيتين ٨، ٥٣؛ سورة المائدة: الآيات ٥٤، ٥٥، ٦٧؛ سورة التوبة: الآيتين ١٩،٢١؛ سورة الشعراء: الآية ٢٢٧ و....

- **اقتباس جزء من الآية المباركة:**

وقد ورد الإقتباس في (١٢ موضعاً) من الزيارة الغديرية، إذ تم اقتباس جزء من الآيات القرآنية فيذكر الإمام ذلك الجزء من الآية القرآنية شاهداً للموضوع الذي يريد الإمام A إيصاله للمتلقي، مثل اقتباسه جزء من الآية ٢٥ من سورة التوبة، وكذلك جزء من الآية ٢٦ من السورة نفسها و..

- **الاستشهاد التلويحي والخفيّ لآيات القرآن الكريم:**

الاستشهاد التلويحي: هو الإتيان بالمضمون أو الصورة القرآنية في الكلام، أو أن تكون الآية محوراً للحديث أو الكلام، دون الإشارة إلى هذا التأثير القرآني، ونلحظ أحياناً في هذا الأسلوب، علامة وقرينة حالية أو مقالية تحكي لنا حول الاعتماد على تلك الآيات، مع أنّنا نشهد تشابهاً وملائمةً بين الكلام والآية؛ إذ يتذكّر القارئ تلك الآية وتجول في ذهنه؛ إلّا أنّه - مع كلّ ذلك - لا توجد علامة أو قرينة صريحة على ذلك. (بابا أحمدي ميلاني، ٢٠٢٢م، ٦٧٥، نقلا عن راستگو،١٣٨٠، ١٦).

هذا النوع من الاقتباس ظهر في نوعين هما:

الأول - الاستشهاد المعجمي: الذي يأتي بمعني اعتماد التراكيب القرآنية يظهر بمنهجين: الاستقراض والتراكيب التي لا نظير لها في القرآن؛ منها: عبارة "خَاتَمِ النَّبِيِّينَ" المأخوذة من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب، أو عبارة «صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ» التي استعيرت من الآيات القرآنية المختلفة: «...صِراطٍ مُسْتَقِيم...» (سورة الفاتحة: الآية ٦؛ سورة البقرة: الآيتين ١٤٢، ٢١٣؛ سورة آل عمران: الآية ١٠١؛ سورة المائدة: الآية ١٦؛ سورة الأنعام: الآيتين ٨٧، ١٦١).

الثاني - الاستشهاد الخبري: وهو على نوعين: الاقتباس والحل (التحليل) (المصدر نفسه، ٦٧٦ - ٦٧٩).

- **تضمين الحديث النبوي الشريف:**

هذه الحجاجية تأتي من اختيار المرسِل نصوصا من الحديث النبوي الشريف تتناص وتتلاءم مع دلالة الأطروحة أو القضية التي تدافع عنها ومن سلطته المقدسة لدي المتلقي بحيث تحول دون الاعتراض عليها ومن جراء ذلك ما على المتلقي إلا الإذعان لما يدعو إليه المرسل أو المحاجج.

ضَمَّنَ الإمام الهادي A الزيارة الغديرية قول النبي الكريم o يوم الغدير بعد أن أشار إلى الواقعة فقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَ انْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَ اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ».

كما نقل كلام رسول الله o لعلي بن أبي طالب A: «يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إلا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَأُعْلِمُكَ أَنَّ مَوْتَكَ وَحَيَاتَكَ مَعِي، وَعَلَى سُنَّتِي فَوَ اللَّهِ مَا كَذِبْتُ وَلا كُذِبْتُ وَلا ضَلَلْتُ وَلا ضُلَّ بِي» (السيوطي، ١٩٩٤م، ٢: ٣٤٣؛ المتقي

الهندي، ١٩٨١م، ١١: ٥٠٧)؛ وهذا الذي اشتهر بحديث المنزلة .

وواضح من هذا النوع من التناص (تناص الحديث الشريف) أن المخاطِب يدافع عن فكرة ولاية أمير المؤمنين A وأفضليته على غيره للإمرة ويدعو إلى اتباع من هو أحق وأولى في هذا الأمر، وذلك غير الآيات القرآنية الكريمة التي ذكرها في الزيارة لتثبيت تلك الفكرة لدي المتلقي وكأنّ الإمام A بهذا النوع من التناص يمهد لنفسه الولوج إلى قلب المتلقي وكأنّ هذا النوع من التناص مقصود لأداء أغراض حجاجية.

٤. ٢. حجاجية التناص في الزيارة الغديرية:

لا شك أن النص متجدد متغير من خلال تشكيلاته مع النصوص الأخرى، مفتوح على النصوص ماضية وآتية في آن (العمري، ٢٠٠٠م، ٣٠)؛ كما ذهبت كريستيفا إلى أن النص «يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات وامتصاص وتحويل لنصوص أخرى» (١٩٩١م، ٧٩)؛ والهدف الرئيس من لتناص هو إقناع المخاطب.

ويجد المتأمل في الزيارة الغديرية آليات التناص الحجاجية في النص وكما مرّ بنا في موضوع الاقتباس والتضمين فإن الإمام الهادي A يأتي بالاستشهاد بالكثير من الآيات القرآنية بعلاقة الظهور والتناص المباشر، قد مضي ذكر الأمثلة والنماذج سابقا.

وكذلك هناك التناص الضمني غير المباشر إذ يدمج الإمام الهادي A القول الآخر بقوله ويشير إلى المقصود ضمنيا، ومن ذلك:

١. النص الحاضر: «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقُّ الَّذِي نَطَقَ بِوِلايَتِكَ التَّنْزِيلُ، وَأَخَذَ لَكَ الْعَهْدَ عَلَى الْأُمَّةِ بِذلِكَ الرَّسُولُ».

النص الغائب: يشمل النص الغائب كل تلك الآيات التي نزلت في حق أمير المؤمنين A وهي كثيرة وقد خص العلماء كثيرا من الكتب والمؤلفات بهذا الموضوع. منها كتاب «ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين A» لمحمد بن عمران بن موسي المرزباني، تحقيق سمية حسنعليان، سنة ٢٠٢٤م.

وكما أن العبارة الثانية في النص يدل دلالة واضحة على آية التبليغ **[يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ]** [المائدة ٥: ٦٧].

٢. النص الحاضر: «أَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَخْصُوصُ بِمِدْحَةِ اللهِ».

النص الغائب: هذا النص يشير إلى الآيات القرآنية المباركة التي مدح بها الله سبحانه أمير المؤمنين A وهي كثيرة منها: **[وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ]** [الواقعة: ١٠ ـ ١١]، وقد ورد أن «السابقون» ثلاثة، ففي رواية عن ابن عباس قال: «سبق يوشع بن نون إلى موسى وسبق صاحب ياسين إلى عيسى وسبق عليّ إلى محمّد» (ابن المغازلي، ٢٠٠٣م، ٣٨٥).

وقوله تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ]** [البينة: ٧] نزلت في الإمام علي A (السيوطي، د. ت، ٨: ٥٨٩).

كما أن التناص في الزيارة الغديرية لم يتوقف عند التناص الديني المتمثل في التناص القرآني والحديثي، بل تجاوزه إلى التناص التاريخي ومنها إشارة الإمام إلى قصة ذبح إسماعيل، ومحنة

هارون النبي في غياب النبي موسي X، وما جري علي السيدة فاطمة الزهراء عليها سلام في غصب فدك واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين A و..

ومما لا بد من التنويه عليه في هذا المجال هو أن مجموعة من العوامل ساهمت في تحقيق النتيجة المطلوبة من حجاجية التناص التي وردت في الزيارة الغديرية منها:

السياق: وهو عنصر هام في الدراسات التداولية لأن له الدور الفعال في تفسير الظواهر الكلامية وإنه ليس مجرد حالة لفظ وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ (دايك، ٢٠٠٠م، ٢٥٨)؛ ويتحدد بالزمان والمكان لأن التداولية في الأصل تسعي لدراسة اللغة أثناء التواصل في زمان ومكان محددين.

ويوم الغدير ومناسبة تجديد العهد والبيعة مع أمير المؤمنين A وذكري واقعة غدير خم وتتويج الإمام علي A بالولاية والإمرة بعد نزول الآية المباركة وأمر الله تعالى نبيه بهذه المهمة، كل هذا كان حجة كافية وفرصة مناسبة انتهزها الإمام الهادي A ليحيي تلك الذكرى بإشارته إلى الحوادث التاريخية وبيان فضائل أمير المؤمنين A.

وتم من خلال ذلك كله تحقق غاية التداولية في هذا المجال وهو نجاح العملية التواصلية وتجلى المعنى بأسهل الطرق وأيسرها.

التدريج والتكامل: نقصد بهذا العامل أن المتكلم يبني حججه في سلسلة ومراحل تعطي الفرصة للمتلقي بتتبعه لقبول مواقفه؛ وهذا واضح في الزيارة الغديرية إذ أن الإمام الهادي A بدأ بذكر فضائل الإمام علي A وميزاته وصفاته العالية التي تحلي بها كالصبر والجهاد والتقوي و.. وكذلك أشار إلى شجاعته ومساهمته في الغزوات والحروب المختلفة وإلي واقعة الغدير وما جري في ذلك اليوم وما تفوه به الرسول الكريم o ، كما ذكر الحوادث المرة التي غُصب فيها حق الإمام وحق السيدة الزهراء X وما أدي إلى استشهاد الإمام الحسين A ويختم الزيارة باللعن على الغاصبين لحق آل البيت Δ ولعن الذين أدي عملهم وعدم أخذهم بوصية الرسول o في يوم الغدير إلى جرّ تلك المصائب على الأمة الإسلامية.

٤. ٣. آليات الإقناع اللغوية في الزيارة الغديرية:

تعد الوظيفة الإقناعية من أهم وظائف البلاغة، فضلاً عن الوظيفة التأويلية فليست الوحيدة فقط، وإذا كانت البلاغة هي فن الإقناع بالخطاب، فالقاعدة الأساسية للبلاغة هي أن الخطيب الذي يخطب أو يكتب، بهدف الإقناع ضمناً، وإنه يعبر دائما عن ذاته مع أو ضد خطباء آخرين أي أن هناك دائما ارتباطا بخطابات أخرى (ريبول، ٢٠٠١م، ٧٥)، وبهذا تستعمل إستراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية؛ بالرغم من تفاوتها تبعاً لتفاوت مجالات الخطاب أو حقوله.

وتنقسم آليات الإقناع إلى قسمين: « يمثل أحدهما العلامات غير اللغوية، سواء أكانت مصاحبة للتلفظ أم لا، مثل الأدلة المادية على وقوع الجريمة، أو ما يصاحب التلفظ من تنغيم وإشارات جسدية وهيئة معينة. في حين يمثل القسم الآخر ممارسة الخطاب بما يناسب العمل الذهني، وذلك يتجسد باستعمال اللغة الطبيعية بوصفها العلامة الرئيسية» (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٤٥٤).

فلابد من الذكر أن استخدام الجمل والأساليب المختلفة أثناء الكلام مثل التوكيد، والإلتفات، والتكرار، وغيرها فليست الزيادة في اللفظ فقط، وإنما هي محاولة للتأثير في المقام وما ينتج عنه

من طاقة حجاجية، وكل هذا يندرج تحت العوامل الحجاجية التي لا تربط بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية (انظر: العزاوي، ٢٠٠٦م، ٦٤)؛ ونورد هنا نماذج من هذه العوامل الحجاجية في الزيارة الغديرية:

- **حجاجية أسلوب التأكيد:**

يأتي هذا الأسلوب لتقرير المؤكد في نفس المخاطب وإزالة الشكّ أو التوهم أو الغفلة عنها، ومن نماذج التوكيد في الزيارة الغديرية ما يأتي:

- **التوكيد بالجملة الإسمية، كونها تدل على الاستمرار والثبوت:**

وقد ورد في الزيارة كثير من الجمل الاسمية التي وظفها الإمام الهادي A مخاطبا أمير المؤمنين A واصفا فضائله إذ قال: «أَنْتَ الْكَاظِمُ لِلْغَيْظِ، وَالْعَافِي عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَأَنْتَ الصَّابِرُ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ»؛ أو قوله A: « وَأَنْتَ الْمَخْصُوصُ بِعِلْمِ التَّنْزِيلِ، وَحُكْمِ التَّأْوِيلِ، وَنَصِّ الرَّسُولِ»؛ و«أَنْتَ مُطْعِمُ الطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ، مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً لِوَجْهِ اللَّهِ»؛ أو قوله A: «أَنْتَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالْمَحَجَّةُ الْوَاضِحَةُ».

- **التوكيد بالقصر:** وهو يفيد تخصيص وتمكين الكلام وتقريره في الذهن دون إكراه المخاطب المنكر أحياناً على قبوله:

- العامل «ما.. إلا»:

وهذا الأسلوب من العوامل الحجاجية التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية إذ تترتب في سلم حجاجي واحد وهو عامل يوجه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض وهو ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل إليه (ابن ظافر الشهري، ٢٠٠٤م، ٥١٩)، وتطبيقه قول الإمام الهادي A: «فَمَا آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ عَلَى نَبِيِّهِ، إِلَّا قَلِيلٌ»، والقصد هنا توجه المتلقي وسوقه إلى ما نزل في حق أمير المؤمنين A كأنه يريد لفت الانتباه إلى هذا الأمر فضلا عن أن الكثيرين لم يؤمنوا بهذا الموضوع وغفلوه والتأكيد على أن شيعة أمير المؤمنين A قليلون.

- العامل «إنما»:

هذا العامل من أبرز العوامل الحجاجية التي تفيد الحصر؛ قال الإمام الهادي A ناقلا قول الإمام علي A في قضية رفع المصاحف: «كَذَلِكَ أَنْتَ لَمَّا رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ، قُلْتَ: يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهَا وَخُدِعْتُمْ، فَعَصَوْكَ وَخَالَفُوا عَلَيْكَ»؛ ويبدو جليا هنا في سياق التحاور والجدال أن أمير المؤمنين A قد حصر الفتنة برفع المصاحف في تلك القضية دون سواه

وهذه حجة أتي بها ليثبت أن الناس بعصيانهم الإمام A قد خاضوا في الفتنة.

كما استشهد الإمام الهادي A بقول الله سبحانه في إتيان الأمثلة والنماذج من الآيات القرآنية في بيان وتوضيح ما أنزل الله تعالى في الإمام علي بن أبي طالب A فقال: «وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيكَ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ كَارِهُونَ: **[.. إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ]** »

وظهر دور الرابط الحجاجي «إنما» في هذه العبارة في توجيه الملفوظ نحو وجهة حجاجية واحدة دون سواها فقد تم حصر الإمكانات الحجاجية في أن الذين يتميزون بهذه الصفات هم أولياء الله تعالى وعندما ذكر «وهم راكعون» فأبعد جميع الحجج المتعلقة بأن الولاية للذين يؤمنون ويقيمون الصلاة فقط، وجميع المصادر والكتب التفسيرية تذعن بأن الآية المباركة نزلت في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب A إذ تصدق وهو راكع (انظر: ابن عادل، ١٩٩٨م، ٧: ٣٩٧؛ ابن أبي حاتم، ١٤١٩هـ، ٤: ١٦٢؛ ابن جرير الطبري، ٢٠٠١م، ٨: ٥٣١).

وعليه فإن دور العامل الحجاجي هنا يقتصر على الحجاج لا الإخبار وهو ما تنبه إليه العلماء القدامى كالجرجاني إذ قال: «اعلم أن موضوع «إنما» على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة» (الجرجاني، ١٩٩٢م، ٣٣٠)؛ وكما ظهر في هذه الآية المباركة وتوظيف الإمام إياها حجة لأنه أراد تنبيه المتلقي للذي يجب للإمام من حق الولاية.

- العامل «ما/ لا.. غير»:

هذا العامل كذلك يفيد الحصر وغايته تقرير المعني في ذهن المتلقي وتمكينه؛ وقد ورد هذا العامل مرة في الزيارة الغديرية إذ قال الإمام A: «لا زَادَ أَكْثَرَهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ»؛ إذ تم حصر الخسران والضرر والهلاك في عدم التمكين لولاية أمير المؤمنين A وعدم الإيمان به وبما نزل على نبيه صلوات الله وسلامه عليه في حقه A.

- التوكيد **بالتقديم**:

إذ قدم الإمام الهادي A الجار والمجرور لغرض التخصيص والحصر وكذلك التأكيد؛ من ذلك قوله A: «لَكَ الْمَوَاقِفُ الْمَشْهُودَةُ» مع أن في هذه العبارة المبتدأ معرفة وليس تأخيره على الخبر «لك» بواجب؛ أو قوله A: «فِيكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **[وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ]**» إذ تقدم الجار والمجرور على الفعل لغرض الحصر والتأكيد.

وقال A أيضا مخاطبا أمير المؤمنين A: «مَوْلايَ بِكَ ظَهَرَ الْحَقُّ» بأن الحق ظهر بأمير المؤمنين A ويذكرنا قوله هذا بالحديث النبوي الشريف إذ قال o: «علي مع الحق، والحق مع علي» (ابن عيد بن عمير الصاعدي، ١٤٢٧هـ، ٧: ٨٤؛ ابن منظور، ١٩٨٤م، ١٨: ٤٥).

- **التوكيد بـ«إنّ واللام»:**

قال الإمام الهادي A موظفاً أسلوب الحصر المؤكد بإن المشبهة واللام الدالة على التأكيد ناقلا قول الإمام علي A إذ وصف نفسه بأنه على طريق الهداية والرشد: «وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي بَيَّنَهَا لِنَبِيِّهِ وَ بَيَّنَهَا النَّبِيُّ لِي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْفِظُهُ لَفْظا صَدَقْتَ، وَ اللَّهِ وَقُلْتَ الْحَقَّ».

- **حجاجية التكرار**:

«قيمة التكرار الحجاجية تكمن في التأثير في المتلقي لتوصله إلى الإقناع بالقضية المطروحة، أي أن وظيفة التكرار تكمن في التأكيد على صحة رأي ما، فالتكرار وسيلة بلاغية يقصد بها تقوية الحجة عن طريق تأكيدها» (خرفي، ٢٠١٤م، ٨)، ومن هذا المنطلق وبالتأمل في الزيارة الغديرية نلاحظ أن الإمام الهادي A كرّر عبارة «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» مرات عدة؛ ليؤكد أن هذا الأمر مهم يستحق العناية؛ إذ أن لقب أمير المؤمنين يختص به الإمام علي A دون غيره، وهذا التكرار مهمته حفر هذا الاعتقاد في عمق النفس وتمكين الأثر المتوخى منه؛ لأن سبب تسميته بهذا اللقب أنه روي عن رسول الله o قوله: «لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى سدرة المنتهى، قال الله تعالى: «قد اخترت لك علياً فاتخذه لنفسك خليفةً ووصياً ونحلته علمي وحلمي وهو أمير المؤمنين حقاً لم ينلها أحد قبله وليست لأحد بعده» (ابن طاووس، ١٤١٣هـ، ٢٤)؛ ولقب أمير المؤمنين خاص بالإمام علي A بما استحقه من المناقب، وهو منة منَّ الله تعالى بها على المؤمنين، فاختصهم بأمير مثل علي بن أبي طالب A، قال رسول الله o: «والله ما سمي المؤمن مومناً إلا كرامةً لأمير المؤمنين A» (المصدر نفسه، ٢٣).

وقد كرر الإمام الهادي A في بيان فضائل الإمام علي A عبارة «وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ» مشيراً إلى هذه الفضيلة والتي تتمثل بأسبقية الإمام علي A على غيره في الإيمان بالله تعالى ورسوله الكريم o؛ ومن خلال ذلك يتم تحقق الترابط والتلاحم في تقوية هذا المعني والتأكيد على هذه الدلالة لأن التكرار من عناصر التماسك النصي.

كما أن الإمام الهادي A كرر معني مجاهدة الإمام علي A بألفاظ مختلفة إذ قال: «وَأَشْهَدُ أَنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ» وقال أيضا: «عَبَدْتَ اللَّهَ مُخْلِصا وَ جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ صَابِراً وَ جُدْتَ بِنَفْسِكَ مُحْتَسِباً» كما ذكر في الخطبة: «فَلَكَ سَابِقَةُ الْجِهَادِ عَلَى تَصْدِيقِ التَّنْزِيلِ؛ وَ لَكَ فَضِيلَةُ الْجِهَادِ عَلَى تَحْقِيقِ التَّأْوِيلِ»؛ مؤكداً على أن حياة الإمام علي A تمثلت في أسمي معاني التضحية والفداء والشجاعة والصبر والجهاد في سبيل الحق وحياته كلها جهاد مخلص.

وقد وفق الإمام الهادي A في توظيف هذه التقنية (التكرار) التي تُعدُّ من تقنيات الحجاج فهو يكرر الفكرة الرئيسة في إمرة وولاية أمير المؤمنين؛ لأن التكرار من «طرائق عرض الخطاب عرضا حجاجيا لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها وكذلك التشديد على بعض مقاطع الخطاب من خلال الصوت أو من خلال الصمت الذي يسبق أداءها» (صولة، ٢٠٠٠م، ٣١٨).

- **حجاجية الإلتفات:**

للإلتفات وظائف حجاجية شتى منها:

- إثارة المتلقي ولفت انتباهه.
- تقوية الحضور بواسطة الضمير أو الزمن.
- إثارة التشنيع على الخصوم وإشهاد السامعين و القرّاء على فساد صنيعهم.

ويعتري الإلتفات صبغة المبالغة أيضاً، لأنه يذكر لغيرهم خصالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح.

ومن مواطن الإلتفات في شواهد الزيارة الغديرية يجدر بنا الإشارة إلى التفات جميل من الخطاب إلى الخطاب إذ يخاطب الإمام الهادي A في الزيارة جده أمير المؤمنين A ويلفت له بشرى الله سبحانه وتعالى له ثم يغير أسلوبه إلى الدعاء فيقول: «.. مُسْتَبْشِرٌ بِبَيْعِكَ الَّذِي بَايَعْتَهُ بِهِ، وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ؛ اللَّهُمَّ الْعَنْ قَتَلَةَ أَنْبِيَائِكَ، وَ أَوْصِيَاءِ أَنْبِيَائِكَ بِجَمِيعِ لَعَنَاتِكَ...».

ويبدو الإلتفات واضحاً في بداية الزياره إذ أن هناك التفات من الغائب إلى المخاطب إذ بدأ الزيارة بالصلاة على النبي محمد o وآله الطاهرين والأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين وبعده يخاطب أمير المؤمنين A ويسلم عليه: «السَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ،... السَّلامُ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، وَمَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

٤. ٤. المبادئ الحجاجية في الزيارة الغديرية:

سلامة العملية الحجاجية في نص ما لا تكتفي بوجود العوامل الحجاجية والآليات اللغوية للحجاج فقط، فلا بد من وجود قاعدة تضمن الربط بين الحجة والنتيجة وهي التي تعرف بالمبادئ الحجاجية وهي «مجموعة من المسلمات والأفكار المعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة والكل يسلم بصدقها وصحتها» (العزاوي، ٢٠٠٦م، ٦٧).

بالتأمل والدقة في نص الزيارة الغديرية للإمام الهادي A نجد أن الإمام A يذكر في خطابه لأمير المؤمنين صفات عدة وميزات مختلفة وأنها لا توجد في غيره A ليثبت من جراء ذلك أن أمير المؤمنين A هو الأحق في الولاية والخلافة؛ فضلا عن أن الإمام الهادي A يدعم كلامه بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة أو بذكر الحوادث التاريخية.

وكأنّ الإمام الهادي A يعرف أن ذكر تلك الميزات يدفع بالمتلقي لأن ينتبه لفضائل أمير المؤمنين A وأنه يستحق بموجب تلك الفضائل إمرة المسلمين وخلافتهم دون غيره؛ ومن هذه الصفات نورد الآتي :

- الزهد بقوله A في الزيارة واصفاً جده أمير المؤمنين A بأنه: «أَزْهَدَ الزَّاهِدِينَ»
- الإخلاص بوصفه لجده A قائلاً: «أَنْتَ مُطْعِمُ الطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ، مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً لِوَجْهِ اللَّهِ»؛ «عَبَدْتَ اللَّهَ مُخْلِصا».
- الأسبقية في الإسلام والإيمان: « أَوَّلَ الْعَابِدِينَ»؛ «أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَصَلَّى لَهُ

وَجَاهَدَ وَأَبْدَى صَفْحَتَهُ فِي دَارِ الشِّرْكِ».

- وصي رسول الله: «سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ».
- الصبر: «أَنْتَ الصَّابِرُ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ».
- كظم الغيظ: «أَنْتَ الْكَاظِمُ لِلْغَيْظِ».
- المعافاة عن الناس: «الْعَافِي عَنِ النَّاسِ».
- العدل: «أَنْتَ الْقَاسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَ الْعَادِلُ فِي الرَّعِيَّةِ».
- العلم: «الْعَالِمُ بِحُدُودِ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ».
- الشجاعة في الحروب المختلفة: «لَكَ الْمَوَاقِفُ الْمَشْهُودَةُ، وَ الْمَقَامَاتُ الْمَشْهُورَةُ، وَالْأَيَّامُ الْمَذْكُورَةُ، يَوْمَ بَدْرٍ وَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ.. وَ يَوْمَ أُحُدٍ.. وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ.. وَ يَوْمَ خَيْبَرَ».
- الجهاد في سبيل الله: «جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ».
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «أَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا اسْتَطَعْتَ».

ويجد المتأمل في تلك الصفات أن الإمام الهادي A ذكر مجموعة من الصفات التي يعتقد الكثيرون بها في أنها من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها وليّ الله وخليفته في أرضه، وهذه الصفات مشتركة في أفكار الناس ومعتقداتهم كما أنها تصلح لعدد كبير من السياقات المتنوعة، التي يقر بها الجميع والكل في المجتمع مهما كانت الاختلافات بينهم يتفق عليها وإذا أضفنا لها صفات الزهد والصبر والعلم فإن الحجج تزداد قوة وتعظم هذه الشخصية العظيمة الفريدة التي لا نظير لها في عين المرسل إليه، والظاهر أن تلك الصفات هي مما يتفق عليها أفراد المجتمع عبر جميع الأزمنة.

ويختم الإمام الهادي A زيارته باللعن على أعداء أمير المؤمنين A وغاصبي حقه ومانعي حقوق آل البيت Δ وكأنّ الإمام يلقي جام غضبه وسخطه على الذين منعوا أمير المؤمنين A حقه بالخلافة ولم يكتفوا بذلك بل غصبوا حق السيدة الزهراء عليها السلام كما قتلوا سيد شباب أهل الجنة بكربلاء؛ والظاهر أن عدم اهتمام الناس بوجود هذه الخصال في من أرادوه وليّ الله على الناس واختيارهم غير أمير المؤمنين A وليا مهّد ابتلاء الأمة الإسلامية بكل تلكه المصائب.

ويجد المتأمل في هذه الزيارة العلاقة التدرجية بين الحجج المختلفة إذ هي تخدم نتيجة واحدة سعى الإمام من خلالها إلى تثبيت نبل الإمام علي A وشخصيته العظيمة التي تتصف بصفات عليا ولا أحد مثله ولا أحد غيره يستحق الولاية والخلافة، إلا أن عدم الأخذ بوصية النبي o جعل الأمة الإسلامية تنحرف عن النهج الصحيح في الهداية والرشد.

٤. ٥. الأسس المقامية للزيارة الغديرية وأبعادها الحجاجية:

يجد المتأمل في الزيارة الغديرية المباركة مقامات رئيسة عدة منها:

- **مقام التعليم**:

إذ يعلّم الإمام الهادي A الناس على وجه العموم والشيعة على وجه الخصوص كيفية الزيارة وكيفية مخاطبة شخصية عظيمة مثل أمير المؤمنين A؛ إذ بدأ الزيارة بذكر السلام على النبي محمد o

وسلم والإشارة إلى بعض صفاته وفضائله؛ لأن له الفضل الأكبر على الإنسانية عموما والمسلمين كلهم خصوصا؛ فيقول A في هذا المقام: «السَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَصَفْوَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمِينِ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ وَ عَزَائِمِ أَمْرِهِ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا اسْتُقْبِلَ وَالْمُهَيْمِنِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَصَلَوَاتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ السَّلامُ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ».

- **مقام التذكير**:

إذ ذكّر الإمام الهادي A الناس ب واقعة الغدير التي حاول الأعداء إخفاءها والاستخفاف بها ومحو ذكرها من التاريخ؛ كما ذكّر A الناس في هذه الزيارة بفضائل الإمام علي A مخاطبا جده A مشيرا إلى كثير من الأحداث التاريخية التي تدل على دور الإمام الهام فيها ودفاعه عن الإسلام والحق والحقيقة، وقد ذكرنا أنواعاً من تلك الفضائل القرآنية والحديثية والتاريخية في مضان هذا البحث.

- **مقام المقارنة**:

إذ قارن الإمام الهادي A بين البلايا التي امتحن الله تعالى أمير المؤمنين A مع تلك

البلايا التي امتحن بها باقي الأنبياء؛ ومن ذلك الآتي :

١. المقارنة بين حادثة ليلة المبيت مع قصة ذبح إسماعيل A إذ قال: « فَأَشْبَهَتْ مِحْنَتُكَ بِهِمَا مِحَنَ الْأَنْبِيَاءِ Δ عِنْدَ الْوَحْدَةِ وَ عَدَمِ الْأَنْصَارِ وأَشْبَهْتَ فِي الْبَيَاتِ عَلَى الْفِرَاشِ الذَّبِيحَ A إِذْ أَجَبْتَ كَمَا أَجَابَ وَأَطَعْتَ كَمَا أَطَاعَ إِسْمَاعِيلُ صَابِرا مُحْتَسِبا إِذْ قَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَا ذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ وَ كَذَلِكَ أَنْتَ لَمَّا أَبَاتَكَ النَّبِيُّ o وَأَمَرَكَ أَنْ تَضْجَعَ فِي مَرْقَدِهِ وَاقِيا لَهُ بِنَفْسِكَ أَسْرَعْتَ إِلى إِجَابَتِهِ مُطِيعا وَلِنَفْسِكَ عَلَى الْقَتْلِ مُوَطِّنا».

٢. المقارنة بين واقعة صفين ورفع المصاحف مع ما جرى على هارون النبي في غيبة موسى A: « ثُمَّ مِحْنَتُكَ يَوْمَ صِفِّينَ وَ قَدْ رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ حِيلَةً وَ مَكْرا فَأَعْرَضَ الشَّكُّ وَعُزِفَ الْحَقُّ وَاتُّبِعَ الظَّنُّ أَشْبَهَتْ مِحْنَةَ هَارُونَ إِذْ أَمَرَهُ مُوسَى عَلَى قَوْمِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَهَارُونُ يُنَادِي بِهِمْ وَيَقُولُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى وَكَذَلِكَ أَنْتَ لَمَّا رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ قُلْتَ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهَا وَخُدِعْتُمْ فَعَصَوْكَ وَخَالَفُوا عَلَيْكَ وَ اسْتَدْعَوْا نَصْبَ الْحَكَمَيْنِ فَأَبَيْتَ عَلَيْهِمْ وَتَبَرَّأْتَ إِلى اللَّهِ مِنْ فِعْلِهِمْ وَفَوَّضْتَهُ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أَسْفَرَ الْحَقُّ وَسَفِهَ الْمُنْكَرُ وَاعْتَرَفُوا بِالزَّلَلِ وَالْجَوْرِ عَنِ الْقَصْدِ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِهِ وَأَلْزَمُوكَ عَلَى سَفَهٍ التَّحْكِيمَ».

الخاتمة والنتائج:

من أهم النتائج التي تم الوصول إليها من خلال دراسة آليات الحجاج اللغوية في زيارة الإمام الهادي A لجده أمير المؤمنين A في يوم الغدير الآتي:

١. مقام الدعاء والزيارة من أصدقِ المقامات الخطابية، وأبعدِها عن التكلُّف.

٢. الأسس المقامية التي تجلت في الزيارة الغديرية هي التعليم والتذكير والمقارنة؛ ولكل من هذه الأسس بُعد دلالي في الحجاج.

٣. أصبح نص الزيارة الغديرية من خلال أسلوب الإيجاز والتكثيف لكثير من

الأحداث التاريخية ذات قيمة خاصة؛ كما حقق النص صدي جماليا فضلا عن إيصال الفكرة إلى المتلقي وكذلك تم ربط البني الدلالية الكلية والجزئية في عبارات موجزة.

٤. زخرت الزيارة الغديرية بأنواع العوامل الحجاجية كأداة القصر والتأكيد والتكرار والالتفات وهذه العوامل الحجاجية أو الأدوات اللغوية تهدف إقناع المخاطب في أن علي بن أبي طالب A هو أمير المؤمنين والإمرة حق مسلَّم له وهو أولي من غيره بها.

٥. العامل الحجاجي «إنما» ورد في النص لتزيد في القوة الحجاجية للملفوظ الذي جعلته ضربا إنكاريا وجاء في موضعه ليفيد زيادة التأكيد والحصر.

٦. يلعب التناص دورا بارزا في حجاجية الزيارة الغديرية ويتجلى هذا الأمر في الناحتين: الأولي في الاستشهاد المباشر للآيات القرآنية والثانية في دورها الهام في توجيه رأي المتلقي.

٧. حجاجية التكرار حققت أغراضاً رئيسية عدة في الزيارة الغديرية، منها: التوكيد، وتماسك النص ووحدته الموضوعية، والإيقاع المؤثر في النفس.

٨. نص الزيارة الغديرية يشمل مجموعة من الحجج كل حجة تخدم نتيجة النص الكلي وهي أن الولاية لأمير المؤمنين A فقط والإمرة والخلافة حق له حصرا لا لغيره؛ ووردت الحجج ضمن عبارات تشبه المناجات.

٩. ظهرت حجاجية الآليات البلاغية في أنواع مختلفة كالتشبيه والاستعارة والسجع والجناس والطباق؛ وهذا الاهتمام بالمحسنات لم يصحبه إهمال المعني، بل كان يرجح لكل مضمون وسياق ما يناسبه من أسلوب لتحقيق الغرض الرئيس وهو التأثير على المتلقي لبيان حق الإمام علي A في الولاية والخلافة؛ فضلا عن أن تلك الآليات البلاغية قد أدت وظيفتها الفنية ودورها الفعال في إحكام نسيج نص الزيارة والتعبير عن المعني المراد إيصاله للمتلقي .

١٠. بالنسبة للمبادئ الحجاجية يذكر الإمام الهادي A مجموعة من الصفات التي اختص بها أمير المؤمنين A وهي من ضمن المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل المجتمع وهي التي يتفق عليها الجميع مع اختلافاتهم في الأزمان والأجناس.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم.

١. بلانشيه، فيليب، (٢٠٠٤م). التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

٢. الجرجاني، عبد القاهر (ت ١٠٨١م)، (١٩٩٢م). دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: مطبعة الدني.

٣. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت٣٢٧هـ)، (١٤١٩هـ). تفسير القرآن العظيم، المحقق: أسعد محمد الطيب، ط٣، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار ـ مصطفى الباز.

٤. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ)، (٢٠٠٢م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق محمود مطرجي، بيروت: دار الفكر.

٥. إبن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، (١٤٠٤هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
٦. ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت: ٢٤١)، (١٩٩٥م). المسند، شرحه وصنع فهارسه: حمزة أحمد الزين، القاهرة: دار الحديث.
٧. خالد، فادية. الدوري، جنان. (٢٠٢٣م). «تطبيق معايير مناهج البحث العلمي في رسائل الجامعة كلية العلوم الإنسانية في جامعة زاخو». مجلة أدب الرافدين (٩٤)، ٣٢٧.
٨. إبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بم محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)، (١٩٧٨ م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
٩. دايك، فان، (٢٠٠٠م). النص والسياق:استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، د.م: إفريقيا الشرق.
١٠. الدوري، زكريا. (٢٠٠٥م). الإدارة الإستراتيجية مفاهيم وحالات دراسية. عمان: دار اليازوري.
١١. الراضي، رشيد، (٢٠١٤م). المظاهر اللغوية للحجاج: مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، القاهرة: الدار البيضاء.
١٢. أبو زيد، نواري سعودي، (٢٠٠٩م). في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجرائات، الجزائر: بيت الحكمة العامة.
١٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، (١٩٩٤م). عُقودُ الزَّبَرْجَدِ على مُسْنَد الإمَام أَحْمد، حَقَّقه وَقَدم لَه: سَلمان القضَاة، بيروت: دَار الجيل.
١٤. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، (د. ت). الدر المنثور، بيروت: دار الفكر.
١٥. شارودو، باتريك، (٢٠٠٩م). الحجاج بين النظرية والأسلوب: عن كتاب نحو المعني والمبني، ترجمة أحمد الوردني، بيروت: دار الكتب الجديد المتحدة.
١٦. الشاوي، مرتضي عبد النبي علي، (٢٠١٥م). زيارة يوم الغدير دراسة دلالية (زيارة أمير المؤمنين A برواية علي بن محمد الهادي A أنموذجا، مجلة الموسم، المجلد ١١٠، السنة ٤٢٨؛ الانسكلوبيديا العلوية ١: ٧١٤ - ٧٣١.
١٧. صحراوي، إبراهيم، (٢٠١٣م). تحليل الخطاب الروائي، الجزائر: دار التنوير.
١٨. صمود، حمادي، (١٩٩٨م). مقدمة: في خلفية النظرية للمصطلح. ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، أشرف عليه: حمادي صمود، تونس: منشورات كلية الأداب بمنوبة.
١٩. صولة، عبد الله، (٢٠٠٠م)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، التونس: الشركة التونسية.
٢٠. ابن طاووس، علي بن موسي (ت ٦٦٤هـ)، (١٤١٣هـ). اليقين باختصاص مولانا علي A بإمرة المؤمنين، تحقيق انصاري، قم: دار الكتاب.
٢١. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ)، (٢٠٠١م). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - عبد السند حسن يمامة، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
٢٢. ابن ظافر الشهري، عبد الهادي، (٢٠٠٤م). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بنغازي: دار الكتب الوطنية.
٢٣. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، (١٩٩٨م). اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٤. العزاوي، أبو بكر، (٢٠٠٦م). الحجاج والمعني الحجاجي، مقال ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية [سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٣٤].
٢٥. العزاوي، أبوبكر، (٢٠١٠م). الخطاب والحجاج، بيروت: مؤسسة الرحاب.
٢٦. العسولي، يونس. مليح، عبد الصمد (٢٠٢٠م). «المنهج الوصفي التحليلي في مجال البحث العلمي». مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية (٢٩)، ٣٦.
٢٧. العمري، حسين، (٢٠٠٠م). إشكالية التناص مسرحيات سعد الله وموسي نموذجا، إربد: دار الكندي.
٢٨. ابن عيد بن عمير الصاعدي، سعود، (١٤٢٧هـ). الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعًا في الكتب التسعة، ومسندى أبي بكر البزار، وأبي يعلى الموصلي، والمعاجم الثلاثة لأبي القاسم الطبراني، المملكة العربية السعودية: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٩. أبو غالي، مختار، (١٩٩٥م). الشعر ولغة التضاد: الرؤية الميدان والتطبيق، حوليات كلية الآداب، الكويت: الحولية ١٥، الرسالة ١٠٣.
٣٠. ابن فارس، احمد بن فارس. (د. ت). معجم مقاييس اللغة. محقق عبد السلام محمد هارون. قم: مكتب الإعلام الإسلامي.
٣١. كرستيفا، جوليا، (١٩٩١م). علم النص، ترجمة: فؤاد زاهي، د.م: الدار البيضاء ـ دار توبقال للنشر.
٣٢. المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي (ت ٩٧٥هـ)، (١٩٨١م). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، ط ٥، د.م: مؤسسة الرسالة.
٣٣. المحمودي، محمد (٢٠١٩م). مناهج البحث العلمي، ط٣، صنعاء: دار الكتب.
٣٤. مطلوب، أحمد، (١٩٩٩م). حسن البصير: البلاغة والتطبيق، ط٢، العراق: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
٣٥. موقع العتبة العسكرية المقدسة، مقال منشور، أسماء الإمام الهادي، والقابه، وكناه، وعللها، وولادته A:2 ، (alaskarian.net).
٣٦. ابن المغازلي، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي (ت ٤٨٣هـ)، (٢٠٠٣م). مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المحقق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي صنعاء: دار الآثار.
٣٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت ٧١١هـ)، (١٩٩٧م)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
٣٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (ت ٧١١هـ)، (١٩٨٤م). مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
٣٩. اليعقوبي، أحمد بن اسحق بن جعفر بن وهب (ت بعد سنة ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه خليل المنصور، ط بيروت ١٩٩٩ م.